سلسلة مجالس التفسير ٤

وصايا لقمان الحكيم لابنه

فضيلة الشيخ العلامة

أ.د. ربيع بن هادي عمير المدخلي

رئيس قسم السنة بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية سابقًا

دار المنهاج للنشر والتوزيع

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى لدار الميراث النبوي

١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

العلم ميراث النبي كذا أتى ... في النص والعلماء هم وراثه

ما خلّف المختار غير حديثه ... فينا فذاك متاعه وأثاثه

رقم الايداع القانوني: 5369 -2009

ردمك: 978-9947-944-50-9

الميراث النبوي للنشر والتوزيع

برج الكيفان - الجزائر

الإدارة: جوال: 554250098 / 668885732 (00213) المبيعات: 550103691 (00213)

البريد الإلكتروني: Dar.mirath@gmail.com

سلسلة مجالس التفسير ٤

وصايا لقمان الحكيم لابنه

فضيلة الشيخ العلامة
أ.د. ربيع بن هادي عمير المدخلي
رئيس قسم السنة بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية سابقًا

الميراث النبوي للنشر والتوزيع

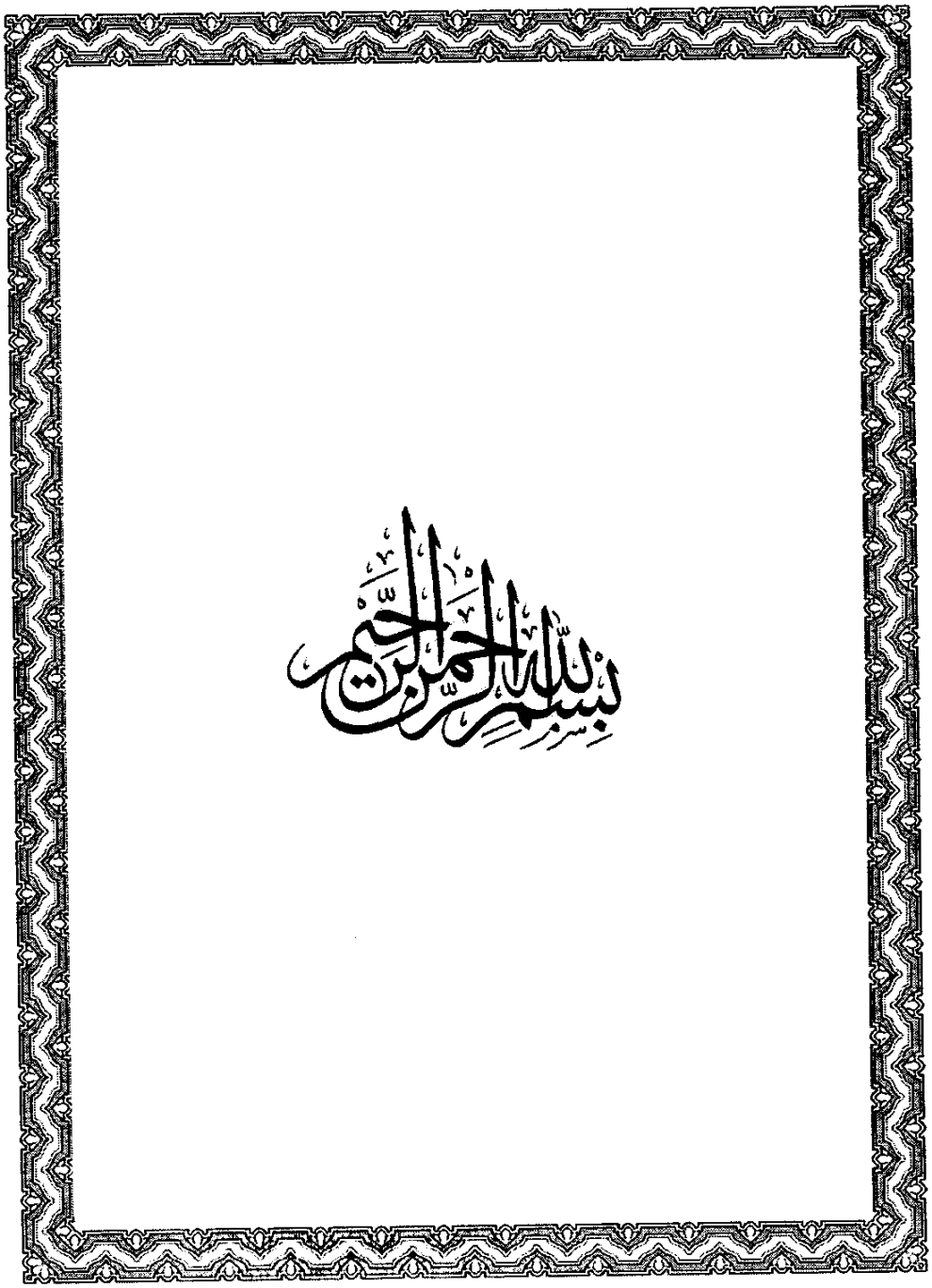
بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قال اللَّه تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن

صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [لقمان: ١٣-١٧].

فقد أحببت أن نتأمل في هذه الآيات العظيمة التي جمعت بين العقيدة والعبادة والأخلاق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ من أعظم الآيات التي ينبغي أن نتدبرها ونستفيد منها عقيدةً وعبادةً وأخلاقًا؛ لأننا نتعلم العلم لنعمل ولنتخلق بما نعرفه من كتاب اللَّه ومن سنة رسول اللَّه وسيرته ﷺ.

فاللَّه -تبارك وتعالى- يذكر نعمته على لقمان- لقمان الحكيم - مشهور بهذا الوصف لا يُذكر إلا ويقال: لقمان الحكيم؛ لأن اللَّه شهد له بأنه قد آتاه الحكمة، وحيث آتاه اللَّه الحكمة فعليه أن يشكر اللَّه -تبارك وتعالى-، ووضع اللَّه ﷻ قاعدة فقال ﷻ: ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾ لأن الفائدة تعود عليه، فاللَّه غني حميد، إن شكره الناس فلأنفسهم، وإن كفروا فعليهم، لا يفيده شكرهم، ولا يضره جحودهم وكفرهم كما مر بنا غير مرة ومنها ما ذكرناه في حديث أبي ذر رضي الله عنه: «**يا عبادي إنكم لن تبلغوا**

ضرِّي فَتضروني ولَن تبلغوا نفعي فتنفعوني»[1].

فهذه القاعدة موجودة في الكتاب والسنة ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت ٤٦].

أثنى اللَّه على لقمان بأن اللَّه قد وهبه الحكمة، وذكر هذه القاعدة العظيمة ثم بين بعض الحكمة التي آتاها اللَّه لقمان: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾، الحكمة هي وضع الشيء في موضعه، وهذه من حكم لقمان ومن كل داعية حكيم يضع الأمور في مواضعها، والأنبياء كلهم علماء حكماء ويضعون الأمور في مواضعها، ويسيرون في دعوتهم على أساس هذه الحكمة، ويربون الناس على أساس هذه الحكمة.

فمن الحكمة أن تبدأ بأهم الأمور فأهمها؛ كما في حديث معاذ الذي هو بيان من رسول اللَّه ﷺ لمنهج الدعوة

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٧٧) وهو قطعة من الحديث القدسي المشهور أوله: «**يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي...**».

إلى اللَّه -تبارك وتعالى- قال ﷺ: «**إنك تأتي قوما أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا اللَّه**»... ثم ذكر الصلاة والزكاة[1]، لقمان كذلك يعني دعَا ابنه إلى التوحيد ونهاه عن الشرك، ثم بعد ذلك جاء أمره بالصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هذا من الأدلة على حكمته.

ومن الحكمة أن تسير على منهج الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- في دعوة الناس وتربيتهم على دين اللَّه؛ تبدأ بالأهم فالأهم.

فلا شك أن العقيدة والتوحيد وتطهير العقول والمجتمعات من الشرك هذا هو الأساس الأصيل الذي لا يجوز أن يُبدأ بشيء قبله، والذي يتجاوز هذا المنهج ويخترع مناهج تخالف هذا المنهج فقد ضل سواء السبيل.

﴿لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ لا أعظم من الشرك باللَّه -تبارك وتعالى-؛ لأنه ذنب لا يغفر قال -

(١) أخرجه أحمد (١/ ٢٣٣] والبخاري (١٣٩٥) ومسلم (١٩).

تبارك وتعالى- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ وقال -تبارك وتعالى-: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾، قال لقمان رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾.

عن عبد اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لَمَّا نَزَلَتْ هذه الْآيَةُ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ شَقَّ ذلك على أَصْحَابِ النبي ﷺ وَقَالُوا: أَيُّنَا لم يَظْلِمْ نَفْسَهُ؟! فقال رسول اللَّهِ ﷺ: «**ليس كما تَظُنُّونَ إنما هو كما قال لُقْمَانُ لابنه: يا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**»(١).

فبين لهم أن المراد بالشرك إذا أطلق إنما هو الشرك الأكبر، والكفر العظيم الذي يستحق صاحبه غضب اللَّه الشديد وتعذيبه الخالد المؤبد؛ ذنب لا يغفر ولهذا قال لقمان لابنه: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾.

ثم قال اللَّه -تبارك وتعالى- كلامًا معترضًا أثناء وصايا لقمان الحكيم لابنه، واللَّه -تبارك وتعالى- في عدد من

(١) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٦٩٣٧) ومسلم برقم (١٢٤).

الآيات يقرن حقّ الوالدين بحقّه؛ فتأتي الوصية بحق اللَّه -تبارك وتعالى- ثم يعقبها الوصية بحق الوالدين في عددٍ من الآيات كما في قوله تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ وقوله سبحانه: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ﴾.

وهنا ذكر وصية لقمان لابنه وعقبها بقوله: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾.

وَصَّاهُ بحقِّ والِدَيْه أنْ يُحسن إليهما، وبين الأسباب التي تُحَتِّمُ عليه أن يشكر لهما ويعرف حقهما، أشار إلى ماذا تعاني الأم التي أوصاك اللَّه بالإحسان إليها ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ يعني: ضعفًا على ضعف؛ هي ضعيفة البنية وتزيدها آلام الحمل ومشاكله ومشاقّه من الغثيان ومن الدوران ومن الوحم -كما يسمونه- إلى آخره، آلام ومشقَّات، وبعد هذا آلام الوضع قال تعالى: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ﴾ مَشقة وتَعب وأخطار وقد تموت، ثم

بعد ذلك تربيك وتسهر عليك، ويُحَوِّل اللَّه دمها إلى حليب لترضعه منها، وخير شيء لتربية الولد ونمو جسمه أن يرضع من لبن أمه؛ حمل وولادة؛ حمل على كره وعلى ضعف وعلى مشقَّات، والولادة كذلك، وبعد ذلك التربية والحضانة والرعاية وسهر وتعب وبكاء وآلام فعليك أن تكافئها، ولهذا قرن اللَّه شكرهما بشكره ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ﴾.

إن لم تقم بحق اللَّه وشكره وشكر والديك فسوف يعاقبك على عدم القيام بحق اللَّه وبحق الوالدين أو التقصير في أيهما.

وقوله تعالى: ﴿وَإِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ هذا فيه وَعيد، وسيُحاسِبُك على ما قدمت في هذه الحياة؛ هل قمت بشكر اللَّه؟ هل قمت بالواجبات التي شرع اللَّه ومن أهمها بعد حق اللَّه وحق رسوله: حق الوالدين؟ حق الوالدين! واللَّهِ من ورائك حساب إن لم تعامل أبويك وتقم بحق اللَّه وحق والديك من الشكر فإن اللَّه ما خلقك سدًى ولا هملًا،

وإنما خلقك لتعبده وتقوم بأوامره وتبتعد عن معاصيه، ومن أوامره: أمره إيَّاك بالقيام ببر والديك بعد القيام بحقه ﷻ، واللَّه لا يضيع مثقال ذرة ولا يظلم مثقال ذرة.

قال اللَّه -تبارك وتعالى- بعد ذلك: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾.

إذا أمراك بمعصية اللَّه؛ كبيرة كانت أم صغيرة، وعلى رأس المعاصي الشرك باللَّه فلا تطعهما، فليس لهما أي حق أن يأمراك بمعصية اللَّه شركا كان أو غيره قال ﷺ: «**لا طاعة لمخلوق في معصية اللَّه**»[1] فإن أعاناك على طاعة اللَّه ووجَّهاك وربَّياك التربية الصحيحة فهذا لهما، وإن انحرفا وجاهداك واجتهدا على أن تدخل في الشرك باللَّه ﷻ وتقع فيه فلا طاعة لهما، ولكن لا يسقط برهما ولو جاهداك وآذياك لتكفر باللَّه ﷻ فعليك أن لا تنسى حقهما،

(١) أخرجه البخاري برقم (٧٢٥٧) ومسلم برقم (١٨٤٠) وأحمد (٢٠٦٧٥) واللفظ له من حديث علي ﷺ.

وقوله سبحانه: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ أي: تُحسن إليهما وتبرهما وتنفق عليهما ولو كانا كافرين، وتبرهما في غير معصية اللَّه؛ تخدمهما والمطالب التي يطلبانها منك عليك أن تقوم بها، وهذا من المعروف؛ كل ما يطلبانه مما ليس بمعصية فعليك أن تقوم به.

فحق الوالدين لا يسقط، ولو وقعا في بدعة، ولو وقعا في الشرك، فإنه لا بد أن تصاحبهما في الدنيا معروفا.

ثم عليك أن تتبع سبيل من أناب ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ ترجع إلى اللَّه -تبارك وتعالى- وتطيعه وتعبده متبعا سبيل المنيبين إلى اللَّه من الأنبياء وأتباعهم من العلماء الناصحين وعباد اللَّه الصالحين؛ تقوم بحق اللَّه -تبارك وتعالى- وحقوق العباد فإن هذا سبيلهم؛ سبيل من أناب أن يقوموا بحقوق اللَّه وحقوق خلقه؛ من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى اللَّه، وأمور أخرىٰ يراها هذا المنيب إلى اللَّه -تبارك وتعالى-.

يعني في التوحيد وفي العبادة وفي الأخلاق وفي كل

ما جاءت به الشرائع من الخير وما نهت عنه من الشر ومن ذلك الشرك باللَّه -تبارك وتعالى- ومحادَّة الرسل ومخالفتهم؛ هذا هو المنيب الرجَّاع إلى اللَّه؛ إن أذنب يتوب إلى اللَّه توبة نصوحا، ويتبع أحسن الحديث وهو ما جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام المشتمل على التوحيد ومحاربة الشرك والاستسلام للَّه رب العالمين في كل ما يأمر به وينهى عنه.

ثم قال سبحانه: ﴿ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ مرجع الناس جميعا إلى اللَّه -تبارك وتعالى- وسيحصي عليهم كل شيء وينبئهم به، ومن ذلك هل قام الولد ببر أبويه؟ وهل استقام الأبوان على دين اللَّه الحق؟ وسيحاسبهما اللَّه على ما كان يأمرانك به من الشرك.

فالمرجع إلى اللَّه ﷻ وسينبئ العباد؛ الخلق كلهم مرجعهم إلى اللَّه، وسوف يسأل اللَّه كل المخلوقين؛ كل بني آدم، بل الجن والإنس سوف يسألهم كما قال -تبارك وتعالى-: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ

﴿٦﴾ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ﴾ [الأعراف ٦-٧].

هناك ينصب اللَّه تعالى الموازين، فتوزن أعمال العباد إن خيرا فخير وإن شرا فشرّ، ويأتي بمثاقيل الذر في هذا الحساب الدقيق الذي أحاط اللَّه منه بكل ذرة من ذراته؛ من الأعمال الصالحة والسيئة، ﴿فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي أنبئكم بالأعمال والعقائد؛ العقائد الصحيحة في ميزان الحسنات والعقائد الفاسدة في ميزان السيئات، الأعمال الصالحة في كفة الحسنات والأعمال الطالحة في كفة السيئات.

ويُعطي اللَّه ﷻ كل واحد كتابه إما بيمينه أو بشماله كما ذكر في سورة الحاقة: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ

﴿الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ [الحاقة: ١٩- ٣٢].

بعد هذا استكمل اللَّه تعالى وصية لقمان ووعظه لابنه فقال: ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾.

دعاه إلى التوحيد وبيَّن له علم اللَّه وعظمته وقدرته؛ علمه الذي أحاط بكل شيء في السماوات وفي الأرضين، وأن اللَّه لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين، فهذا العلمُ علمه الأنبياء؛ كل الأنبياء يعرفون هذا ويلقنون الناس هذه العقائد، وهذا مما تلقاه لقمان من النُّبوات، ويُذكر أنه كان معاصرا لداود -عليه الصلاة والسلام-، بعد رسالة نوح وهود وصالح وإبراهيم وموسى والأنبياء بعد موسى -عليه الصلاة والسلام- إلى داود، فهذه الأمور موجودة عندهم؛ الأمر بتوحيد اللَّه ووصف اللَّه بصفات

الكمال، ومنها قدرته على كل شيء؛ لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء صغيرًا كان أو كبيرًا ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾.

وإن اللَّه أحاط بكل شيء علمًا وأن العباد لا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء ﷻ، فكل ذرة في الكون وكل قطرة وكل ورقة وكل شيء يعلمه اللَّه -تبارك وتعالى-، لا يخفى عليه من خافية؛ قال اللَّه ﷻ: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام ٥٩]، علمها اللَّه ﷻ وسجَّلها في لوحه المحفوظ، وسجَّل الأعمال في الصحف التي تكتبها الملائكة على العباد من خير أو شر.

واللَّهِ ما سجَّل في الكتاب هذا لأنه ينسى -تعالى اللَّه عن ذلك-، وإنما هو يعلمها قبل أن تكتب وبعد أن تكتب، وفي كل لحظة من اللحظات لا يغيب عنه شيء ﷻ في السماء ولا في الأرض؛ هذه الجبال، هذه الرمال، هذه

القطرات، هذه البحار بأمواجها وقطراتها وما فيها من حيوانات وما فيها من مخلوقات، فاللَّه يعلمها بكلياتها وجزئياتها صغيرها وكبيرها، أحاط بكل شيء علما ﷻ.

هذه العقيدة يلقنها لقمان لابنه ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ﴾ صخرة صماء يعني قوية متينة لا ينفذ أحد إلى ما فيها، اللَّه يعلمها ويخرج هذا المثقال حبة من هذه الصخرة؛ يخرجها ويحاسب عليها فاعلها إن كانت سيئة أو خطيئة، وإن كانت حسنة لا تضيع عند اللَّه -تبارك وتعالى- كما قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ [النساء ٤٠].

﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ﴾ أَدَقّ الأشياء لا وزن لها واللَّه ﷻ يعلم وزنها ومقدارها وأين كانت في السماوات أو في أعماق البحار أو في صخرة من الصخرات، بعضهم يقول الصخرة التي تحت الأرضين، لكن الظاهر أعم؛ في أي صخرة من الصخرات، يعني هذه مبالغة في بيان نفوذ علم اللَّه وقدرته ﷻ وأنه لا يعجزه شيء

ولا يخفى عليه مثقال ذرة ﷻ .

هذه عقيدة عظيمة يجب أن يستحضرها المسلم في كل لحظة من لحظات حياته ؛ يستحضر أن اللَّه مطلع عليه ورقيبٌ عليه وعالمٌ به ﷻ وقادرٌ عليه وقادرٌ على كل شيء هذه عقيدة عظيمة يجب أن يلاحظها المسلم وأن يستحضرها دائما .

ولهذا ؛ لقمان -أولًا- دعا ابنه إلى ترك الشرك ونهاه عنه ، ومعنى هذا أنه يأمره بالتوحيد ، وبيَّن له خطورة الشرك باللَّه فقال : ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ ثم بيَّن له عظمة اللَّه -تبارك وتعالى- لئلَّا يتخذ السفهاء معه أندادا ، وهذه بعض صفات كماله ﷻ وإلا فللَّه الأسماء الحسنى ولا يحيط بها إلا هو كما أخبر عنه رسوله ﷺ : «**لا أُحْصِي ثناءً عليك أنتَ كمَا أثنيتَ على نفسكَ**»[1] وأخبر الرسول -عليه الصلاة والسلام- في مناجاته لربه أن للَّه أسماء أخرى

(١) أخرجه مسلم في صحيحه برقم (٤٨٦) من حديث عائشة ﵂ برقم (٤٨٦).

قد يُعلمها من يشاء من عباده وقد يستأثر بها .

«أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هو لك سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ أو عَلَّمْتَهُ أَحَدًا من خَلْقِكَ أو أَنْزَلْتَهُ في كِتَابِكَ أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ في عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ»[1] . -عليه الصلاة والسلام- ؛ فهاتان الصفتان من صفات اللَّه ؛ القدرة على كل شيء ، والعلم المحيط بكل شيء ، فيجب على المسلم أن لا يغفل عن هذين الوصفين ؛ العلم المحيط والقدرة الشاملة ويستحضر بقية أسماء اللَّه وصفات كماله ؛ فإنه كلما استحضر كمالات اللَّه بصفاته وأسمائه كلما ازداد له هيبة وحياءً وتعظيمًا وإجلالًا وخوفًا ورغبة ورهبة ؛ كلما استحضر أسماء اللَّه الحسنى وصفاته العليا كلما وجدت هذه المعاني والآثار الطيبة في نفسه ، وهذا توفيق من اللَّه ؛ من أراد اللَّه توفيقه منحه هذه الذاكرة الطيبة والمشاعر الطيبة النبيلة ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١/ ٣٩٢، ٤٥٢] برقم (٣٧١٢) وابن حبان (٢٣٧٢- الموارد) من حديث عبد اللَّه بن مسعود ، وصححه الألباني في الصحيحة رقم (١٩٩) .

فُرُطًا﴾ [الكهف ٢٨] فنعوذ باللَّه من الغفلة والنسيان؛ الغفلة عن ذكر اللَّه، وذكر اللَّه ليس باللسان فقط، وإنما الغفلة عن استحضار عظمته وجلاله ﷻ وقدرته وعلمه واطلاعه وعدله ﷻ وإحسانه وكرمه.

بعد هذا التنبيه العظيم من لقمان لابنه والوعظ الأكيد بأن اللَّه قد أحاط بكل شيء علمًا ومعناه احذر أن تعصي اللَّه -تبارك وتعالى-، احذر أن تعصي اللَّه؛ فإن اللَّه ﷻ شهيد مطلع وقدير على كل شيء، يحصي عليك كل شيء، فإن لم يشأ أن يغفر لك فقد هَلَكْتَ، وإن كان شركا فالهلاك محقق لا شك.

قال: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ ما قال: صلِّ، وإنما قال: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ وتنبّهوا لمعنى الإقامة: يعني؛ أن تأتي بها على الوجه الأكمل الذي شرعه اللَّه ﷻ من الطهارة التي لا تقبل الصلاة إلا بها، فلابد من الطهارة من الحدثين الأصغر والأكبر «**لَا يقبل اللَّه صَلَاة بِغَيْرِ طُهُورٍ**»[1] فلابد من

(١) متفق عليه: البخاري برقم (١٣٥) ومسلم برقم (٢٢٥) وأخرجه أبو عوانة في صحيحه (١/ ٢٣٥- ٢٣٦) واللفظ له، من حديث أبي هريرة.

الطهور والطهارة من الحدث الأصغر والأكبر، ولا بد من ستر العورة ولا بد من استقبال القبلة، وهناك أركان لا بد منها؛ من التكبير إلى التسليم لا بد من الإتيان بها، تفتتح صلاتك بتكبير اللَّه وتعظيمه ﷻ فتقول: «اللَّه أكبر» ثم تقرأ الفاتحة -ولا بد منها- «**لا صَلاةَ لِمَنْ لم يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ**»[1] ثم تركع حتى تطمئن راكعًا، وإذا لم تأت بالطمأنينة فصلاتك غير صحيحة، فلا بد من الطمأنينة، ثم ترفع حتى تطمئن قائما وحتى يعود كل فقار إلى مكانه، لا تستعجل، فلا بد من الطمأنينة، ثم تهوي إلى السجود بعد هذه الطمأنينة وتأتي بالسجدة الأولى حتى تطمئن فيها ساجدًا، ثم ترفع رأسك وتجلس تذكر اللَّه في هذا الجلوس بين السجدتين، ثم تسجد حتى تطمئن ساجدا، ثم افعل مثل ذلك في صلاتك كلها كما علم رسول اللَّه ﷺ المسيء صلاته؛

فعن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دخل الْمَسْجِدَ

(١) رواه البخاري برقم (٧٥٦) ومسلم (٣٩٤) من حديث عبادة بن الصامت.

فَدَخَلَ رَجُلٌ فَصَلَّى، فَسَلَّمَ على النبي ﷺ فَرَدَّ وقال: «**ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لم تُصَلِّ**» فَرَجَعَ يُصَلِّي كما صلى ثُمَّ جاء فَسَلَّمَ على النبي ﷺ فقال: «**ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لم تُصَلِّ**» ثَلَاثًا، فقال: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ ما أُحْسِنُ غَيْرَهُ فَعَلِّمْنِي فقال: «**إذا قُمْتَ إلى الصَّلَاةِ فَكَبِّرْ ثُمَّ اقْرَأْ ما تَيَسَّرَ مَعَكَ من الْقُرْآنِ، ثُمَّ ارْكَعْ حتى تَطْمَئِنَّ رَاكِعًا، ثُمَّ ارْفَعْ حتى تعتدل قَائِمًا ثُمَّ اسْجُدْ حتى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا، ثُمَّ ارْفَعْ حتى تَطْمَئِنَّ جَالِسًا وَافْعَلْ ذلك في صَلَاتِكَ كُلِّهَا**»[1].

وقوله: «**اقْرَأْ ما تَيَسَّرَ مَعَكَ من الْقُرْآنِ**» هذا مبيّن بقوله -عليه الصلاة والسلام-: «**لا صَلَاةَ لِمَنْ لم يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ**»، بعض المذاهب كالمذهب الحنفي يتعلق بقوله: «**اقْرَأْ ما تَيَسَّرَ مَعَكَ من الْقُرْآنِ**» قالوا: يقرأ المصلي أي آية ولو ﴿مُدْهَآمَّتَانِ﴾ تكفي! هذا غلط؛ فإن الرسول ﷺ بيَّن المراد من قوله: «ثم اقْرَأْ ما تَيَسَّرَ مَعَكَ من الْقُرْآنِ» بقوله -عليه الصلاة والسلام-: «**لا صَلَاةَ لِمَنْ لم يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ**

(١) رواه البخاري برقم (٧٥٧) ومسلم (٣٩٧) من حديث أبي هريرة.

الْكِتَابِ» وبقوله: «من صلى صَلَاةً لم يَقْرَأْ فيها بِأُمِّ الْقُرْآنِ فَهِيَ خِدَاجٌ ثَلَاثًا غَيْرُ تَمَامٍ»[1] خداج يعني: ميتة مثل جنين الناقة يخرج سقطًا ميتًا لا فائدة فيه.

وتصلي خاشعًا للَّه مستحضرا عظمته ﷻ كما وصف اللَّه المؤمنين بقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ إلى آخر الآية الكريمة، الشاهد منها: الخشوع في الصلاة؛ الخشوع هو روح الصلاة، وصلاة لا خشوع فيها ولا استحضار فيها لعظمة اللَّه ﷻ ولا تدبر لما يقرأه المصلي فيها خلل شديد؛ يكفي أنه لا يصدق عليه هذا الوصف ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ يُحرم من هذا الثناء ومن هذا المدح العظيم.

فاحرص على أن تخشع في صلاتك؛ أن تنسى الدنيا؛ تنسى المال والعيال وتنسى كل شيء ولا يبقى في ذاكرتك إلا استحضار عصمة اللَّه ﷻ، وتدبر ما تتلوه من الآيات التي تزيدك إيمانًا.

---

(١) رواه مسلم برقم (٣٩٥) من حديث أبي هريرة.

ثم بعد ذلك تقرأ التشهد وتسلِّم وفي الحديث: «**تحريمها التكبير وتحليلها التسليم**»[1] فلا تخرج من هذه الصلاة بشيء إلا بالتسليم «السلام عليكم ورحمة اللَّه السلام عليكم ورحمة اللَّه وبركاته»، تُسلم على نفسك وعلى الملائكة وعلى كل عبد صالح في السماء والأرض؛ هذا السلام يبلغ كل عباد اللَّه «السلام عليكم ورحمة اللَّه» يتناول الملائكة ومؤمني الجن ومؤمني البشر كل صالح في السماء والأرض يتناوله هذا الدعاء، فكما يدعو الواحد لنفسه يدعو لإخوانه ويدعو للملائكة أيضا، هذا الدعاء لهم، والملائكة يدعون لنا فنكافئهم.

فتستحضر أن هذا السلام على كل عبد صالح تكسب أجرا عظيما، وإنما الأعمال بالنيات، وقد يسلم الإنسان وهو نَاسٍ ما يدري على من يُسلم ويظنُّ أن السلام مجرد حكاية!

---

(١) قطعة من حديث علي رضي الله عنه أخرجه أحمد (١/ ١٢٣، ١٢٩) وأبو داود (٦١٨) والترمذي (٣) وابن ماجة (٢٧٥) وقال الترمذي هذا الحديث أصح شيء في هذا الباب وأحسن.

لابد أن تقصد هذا الأمر العظيم الذي نبهنا عليه رسول اللَّه -عليه الصلاة والسلام-.

فهذا هو معنى إقامة الصلاة، وتصلي كما كان رسول اللَّه يصلي، ما تصلي بكيفك ولا على أي مذهب كما تريد! وإنما كما كان رسول اللَّه يصلي؛ اسأل وادرس واعرف كيف كان رسول اللَّه يصلي وحاول أن تصلي كصلاته كأنما هو أمامك الآن قائم ويقرأ ويركع ويسجد إلى آخره كما رأيته يصلي، وقد حفظها لنا الصحابة بكل دقة، ونقلوا كل حركة في صلاته -عليه الصلاة والسلام-، فنحاول أن نعرفها فنصلي كما كان رسول اللَّه يصلي فإنه خير المقيمين لهذه الصلاة وخير القائمين بها -عليه الصلاة والسلام- فنتأسَّى به كما حثنا ربنا -تبارك وتعالى-: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب ٢١].

ثم قال لقمان رَحِمَهُ اللَّهُ بعد ذلك: ﴿وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾.

يعني أن هذه من الأمور الواجبة المتحتمة؛ هذا منهج أصيل في دعوات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام؛ إقام الصلاة وإيتاء الزكاة -وهي لم تُذكر هنا -والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على الأذى، وهذه أمور محتّمة يعني من واجبات الأمور ومعزوماتها التي حتمها اللَّه على عباده، فلابد من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لابد من إقامة الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولابد من الصبر؛

الصبر واجب على ما ينالك، يصبر المؤمن ويحتسب، يأمر بالمعروف، يأمر بالتوحيد، ينهى عن الشرك، يأمر بالصلاة، يأمر بالزكاة، يأمر ببر الوالدين، يأمر بذكر اللَّه، يأمر بالطاعات، حتى يأمر بالمستحبات فإنها من المعروف؛ الأمور المستحبة تُعلِّم الناس إياها وترغِّبهم فيها وتدعوهم إليها، وتبين لهم الآثار السيئة على التهاون فيها.

النهي عن المنكر؛ تنهى عن الشرك، تنهى عن

المعاصي، عن الكبائر، عن الصغائر، عن أنواع الفسوق والمعاصي كبيرها وصغيرها، هذا هو المنكر.

المنكرات أول ما يدخل فيها الشرك، ويدخل فيها البدع، ويدخل فيها المعاصي كبائرها وصغائرها؛ فإن المنكر ضد المعروف.

المعروف: ما يعرفه الشرع ويدعو إليه، والمنكر ما ينكره الشرع ويستحقره ويحذر منه وينهى عنه؛ فتأمر بكل معروف بدءًا من التوحيد إلى آخر حسنة من الحسنات إلى الأمر بإماطة الأذى عن الطريق؛ فإن «**الإيمان بضع وسبعون شعبة أو بضع وستون شعبة أعلاها شهادة أن لا إله إلا اللَّه وأدناها إماطة الأذى عن الطريق**»[1] فأنت تأمر بهذا المعروف بدءًا من لا إله إلا اللَّه مُرورًا بالصلاة، بالزكاة، بالصوم، بالحج، بِبرّ الوالدين، بالأخلاق الطيبة إلى آخره إلى آخر شيء وأدنى مراتب الإيمان: إماطة الأذى من الطريق؛ هذه كلها من الإيمان ومن المعروف الذي يجب

(١) رواه البخاري برقم (٨)ومسلم برقم (٣٥) واللفظ له.

أن يقوم به المسلمون.

والمنكر: الشرك والبدع والكبائر والصغائر والمعاصي والأخلاق المنحرفة وإلى أخره؛ كل ما ينكره الشرع والعقل؛ العقل السليم الذي يوافق الشرع كل ذلك منكر والتقاليد السيئة واتباع الأعداء والانقياد لهم والتشبه بهم وإلى آخره.

انظر! عندنا كثير من الشباب يكشفون رؤوسهم! من أين جاءتهم هذه العادة؟ من الغرب، فيجب أن نخالفهم ولا نتشبه بهم؛ لأن «**مَن تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فهو مِنهم**»[1].

كان كشف الرؤوس من خرم المروءة عند المسلمين؛ يعني الذي يمشي في السوق كاشفا رأسه عندهم مخروم المروءة ولا يقبلون شهادته، فتخلصوا من تقليد الغرب ومن تقاليده السيئة -بارك اللَّه فيكم- لا تقلدوا أعداء اللَّه، عندنا معروف وعندنا أخلاق وعندنا عادات عالية رفيعة،

---

(١) رواه أبوداد في سننه برقم (٤٠٣١) من حديث عبد اللَّه بن عمر ﷺ، وهو صحيح.

وهم عندهم عادات ساقطة؛ يأكلون لحم الخنزير ويستبيحون المحرمات وهبوط أخلاقي لا نظير له ودياثة و. . . و. . . إلى آخره، فكيف نتشبه بهم وهم أسقط خلق اللَّه وأحطّهم؟! لا نتشبه بهم أبدا -بارك اللَّه فيكم- هذا من الأخلاق التي سنتكلم عنها.

ثم قال: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾

الصعر: هو الميل؛ لا تتكبر على الناس؛ عندما يُكَلِّمُك أحد تُدير خدّك هكذا؛ هذا من الكبر يُكلِّمك أحد فتعرض عنه وتلتفت هكذا وأنت شامخ؛ لا هشاشة ولا انبساط؛ يعني مستكبر ومتعالٍ!

فهذا نهي عن الكبر، ومن آثاره أن يلوي عنقه هكذا؛ يصعر خده للناس يعني يلويه هكذا. من الصعر وهو مرض يصيب الإبل فتلتوي أعناقها.

فهذا زجر عن الكبر، فعليك بالتواضع؛ التواضع للَّه رب العالمين، والتواضع لعباد اللَّه المؤمنين، تعامل مع الناس بالأخلاق الطيبة، والكبر مذموم جدا ويدفع كثيرًا من الناس إلى الكفر باللَّه! يستكبر فلا يستمع للرسل

ولا يسمع لآيات اللَّه ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [لقمان ٧] .

فالكبر من أكبر الدوافع إلى الكفر باللَّه ورفض ما جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام و «**الكِبْرُ بطر الحق وغَمْطُ الناس**»[١] وردّ الحق ؛ يعني سواء رد الحق بما في ذلك التوحيد أو أي حق من الحقوق يأتيك فلا تخضع له وترفضه وتحتقر من يأتيك به ؛ تغمط الذي يأتيك به وترد الحق الذي عنده .

ولا يجوز الكبر بأي حال من الأحوال ؛ فإنَّه خلق ذميم ويبغضه اللَّه «**الكبرياء رِدائي والعظمة إزاري فَمن نازعني واحدًا منهما قَذفتُه في النار**»[٢] وفي رواية : «**الكبرياء ردائي فمن نازعني في ردائي قصمته**»[٣] يعني يهلكه ويقطع دابره ،

(١) رواه مسلم برقم (٩١) من حديث عبد اللَّه بن مسعود ﷺ .
(٢) رواه احمد (٢/ ٤١٤، ٤٢٧، ٤٤٢) وأبو داود في سننه برقم (٤٠٩٠) وابن ماجة (٤١٧٤) من حديث أبي هريرة وهو صحيح .
(٣) أخرجه الحاكم (١/ ٦١) من حديث سمرة بن جندب، وليس فيه لفظة : «في»، وقال: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي وصححه الألباني في الصحيحة (٥٤١).

فلا تستكبر و «**لا يدخل الجنة مَنْ كان في قَلبه مِثقال ذَرَّة مِن كِبْر**»[١].

حارب الكبر من نفسك؛ خلق خبيث يدفع إلى الكفر وإلى احتقار الناس وإلى رد الحق. لهذا؛ هذا الحكيم وصى ابنه أن لا يصعِّر خده للناس؛ أن لا يتكبر على الناس؛ يكلمك أحد وأنت شامخ معرض عنه، تواضع؛ أنت إنسان مسكين، ضعيف، خُلِقت من تراب، خُلِقت من منِّيٍ قذر وتتغوط وتزور الحمام مرات كل يوم، كيف تتكبر؟!

كيف تتكبر على الناس وأنت هذا حالك، من أنت؟!

ثم لو تصيبك شوكة تبكي منها كيف تتكبر على الناس؟!

فيجب على الإنسان أن يهين نفسه إذا تكبرت وشمخت ويذكِّرها بحقارتها ودناءتها، وأن من أحقر الناس المستكبرون -واللَّه أنا في نفسي- ما أحتقر إلا المستكبرين والكذابين، واللَّه أرى أضعف الناس فأقول هذا أحسن

(١) رواه مسلم برقم (٩١). من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

مني، وأرى المتكبر مهما كان من أي طبقة واللَّه من أتفه الناس وأحقر الناس عندي؛ لا أحقر من المتكبر! ولا يتكبر إلا من دناءة وانحطاط خلقي ونفسي.

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ لا تختل ولا تفخر، هذا من آثار الكبر؛ المشي المَرِح والبطر والأشر والاختيال، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ يفتخر على الناس بنسبه، بجاهه، بماله، بسلطانه، بعلمه، بأي شيء يختال على الناس ويفتخر عليهم؟! اللَّه يبغض هذا الخلق؛ خلق بغيض، خلق دنيء، يبغض اللَّه أهله ويحتقرهم ويزدريهم ويعاقبهم أشد العقوبة على هذا الخلق؛ إذا ما أحبك اللَّه فما معناه؟! معناه أنك عدوٌّ للَّه إذا ما أحبك اللَّه، وأنت على كبر واختيال وافتخار وتطاول على الناس بأي شيء من الأشياء التي تفتخر بها ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا﴾ [الإسراء ٣٧].

من أنت؟! حتى لو بلغت الجبال طولًا لا يجوز لك أن

تتكبر، وحتى إذا خرقت الأرض إلى الأرض السابعة لا يجوز لك أن تتكبر؛ لأنك مخلوق مسكين، ومن حق اللَّه عليك أن تتواضع، واللَّه فرض عليك التواضع وحرم عليك الكبر؛ لأن الإسلام يحارب الأخلاق الرذيلة أشد الحرب؛ كل الأخلاق الرذيلة يحاربها الإسلام؛ الفحش والكذب والخيانة والغش والكبر؛ كل الأخلاق هذه يحاربها الإسلام حربا شديدة، فيجب أن ننبذها وأن نربّي الناس على ضدها من الأخلاق الطيبة التي يحبها اللَّه -تبارك وتعالى- ويرضاها ويحب أن نتخلق بها، وحسن الخلق من أثقل الأعمال في الميزان يوم القيامة، وأكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا، والرسول ﷺ بعث متمما بمكارم الأخلاق؛ الأخلاق موجودة عند الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-، منها الحياء ومما أثر عنهم ما قاله الرسول ﷺ **«إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستح فاصنع ما شئت»**[1].

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٤٨٤) من حديث أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه.

الحياء خلق كبير -يا إخوة- الحياء خلق عظيم وشعبة من شعب الإيمان، وصاحب الحياء يحجزه الحياء من أن يرتكب معصية اللَّه؛ يحجزه الحياء من أن يقع في الأخلاق الدنيئة؛ الحياء خلق نبيل وخلق عظيم لابد أن يتخلق به الإنسان؛ فإنه من أعظم الروادع للإنسان أن يرتكب معصية أو يقع في خلق دنيء، لهذا قال الأنبياء كما ذكر النبي ﷺ: **«إنَّ مِما أَدركَ الناس مِن كلام النبوة الأولى إذا لم تَستحِ فاصنع ما شِئتَ»**، الذي يقع في الشرك لا يستحي من اللَّه، المبتدع لا يستحي من اللَّه ولا يحترم هذه الشريعة التي شرعها الرسول -عليه الصلاة والسلام-، والفاسق عنده خلق دنيء وفيه عدم الحياء من اللَّه.

فالحياء لا بد منه -يا إخوان- ولابد من نبذ الأخلاق الرديئة، تعلموا هذه الأشياء وطبقوها في حياتكم -بارك اللَّه فيكم- وأذكر حديث وفد عبد القيس:

جاء وفد عبد القيس إلى النبي ﷺ ونزلوا قريبًا من البقيع ووضعوا رواحلهم هناك ومشوا فورا إلى الرسول -عليه

الصلاة والسلام- وبقي الأشج؛ تأخر ولبس أحسن ثيابه وجاء يمشي في سكينة وسلم على النبي -عليه الصلاة والسلام-، قال له: «**إِنَّ فِيكَ خَلَّتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّه: الْحِلْمُ وَالأَنَاةُ**» يقابل الحلم والأناة: الطيش والسفاهة فحذار حذار مما ينافي هذين الخلقين، فقال: يا رسول اللَّهِ: أخلقان تخلقت بهما؟ أم خلقان جُبِلت عليهما؟ فقال: «**بل خُلقان جُبِلْتَ عليهما**» فقال: الحمد للَّه الذي جبلني على خلقين يحبهما اللَّه تعالى[1].

اللَّه يُحب الحلم والأناة ويبغض العجلة والطيش وما ينافي هذين الخلقيين فاحرصوا على التخلق بهذين الخلقيين الذين يحبهما اللَّه.

احفظوا هذا الحديث «**إِنَّ فِيكَ خَلَّتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّه: الْحِلْمُ وَالأَنَاةُ**» والإنسان إذا كان يفقد مثل هذه الأمور العظيمة يربي نفسه عليها، «**من يَسْتَعِفَّ يُعِفَّهُ اللَّه وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّه وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّه وَلَنْ تُعْطَوْا عَطَاءً خَيْرًا**

(١) رواه أبو داود برقم (٥٢٢٥) وغيره وأصله في صحيح مسلم برقم (١٧).

وَأَوْسَعَ من الصَّبْرِ»[1] ربِّ نفسك على الصبر وعلى الحلم وعلى الحكمة وعلى الأخلاق العالية.

بجهادك لنفسك تتحول هذه إلى ملكات إن شاء اللَّه والحديث يشير إلى هذا «أخلقين تخلقت بهما» يعني قد ينشأ الحلم والأناة عن التخلق وتربية النفس على الأخلاق الكريمة، فالنفس قابلة للتربية على الخير وعلى الشر، إن ربيتها على الشر نمت عليه وألفته وصار من طباعها - والعياذ باللَّه- وإن ربيتها على الأخلاق الكريمة تطبعت بها وصارت جزءً من حياتها وصارت ملكة لصاحبها.

فاحفظوا هذه الوصايا: التوحيد ومحاربة الشرك وإقامة الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والأخلاق الفاضلة العالية؛ محاربة الكبر والفخر والخيلاء وما شاكل ذلك، وتعلموا الحلم والأناة وكل هذه الأخلاق، ادرسوها من كتاب اللَّه ومن سنة رسول اللَّه -عليه الصلاة

(١) قطعة من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ، رواه البخاري برقم (٦٤٧٠) ومسلم برقم (١٠٥٣) واللفظ للبخاري.

والسلام- فإن هذه الأخلاق جانب مهم من جوانب الإسلام ومن صميم الدعوة السلفية، بها تنتشر دعوتكم ويرفع اللَّه مكانتكم عند الناس، وبخلافها توضع هذه الدعوة وتشوه أمام الناس.

فأحسنوا الدعوة إلى اللَّه -تبارك وتعالى- ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ﴾ [النحل ١٢٥] لا تجادل حتى الكافرين إلا بالأخلاق الطيبة وبالتي هي أحسن؛ لا سب، ولا شتم، لا احتقار، ولا ازدراء، ولا طعن، ولا صياح، ولا صخب، ولا شيء.

ثم قال ﷻ: ﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾.

﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ﴾ أي لا تسرع، ﴿وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ﴾ يعني لا ترفع صوتك إلا بقدر الحاجة.

وقال له: ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾ إذا رفعت صوتك بغير حاجة تدعو إلى رفع الصوت وبمقدار ومقياس

دقيق في رفع الصوت فأنت تشبه الحمار، وأخذ العلماء من هذا أنه لا يجوز رفع الصوت؛ لأن اللَّه شبهك بأخس الحيوانات، و «**ليس لنا مثل السوء**»[1] فلا ترفع صوتك إلا بقدر الحاجة؛ إذا كان عندك واحد أو اثنين وأنت تصيح وترفع صوتك ماذا تريد؟! هذا يشبه صوت الحمير؛ فالصوت يكون على قدر الحاجة.

والمشي كذلك؛ تمشي معتدلا متوسطا، يعني القصد الوسط؛ لا تمشي مشية المتماوتين ولا تسرع سرعة الطائشين، توسط في المشي واعتدل وهي مشية عباد اللَّه المؤمنين الذين قال اللَّه فيهم: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ إذا خاطبهم الناس بالسفاهات يقولون كلامًا محترمًا الذي فيه السلام وفيه المسالمة وفيه دفع السيئة بالتي هي أحسن.

نسأل اللَّه -تبارك وتعالى- أن يرزقنا وإياكم العلم النافع والعمل الصالح والأخلاق الطيبة الجميلة التي يحبها

(١) قطعة من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، رواه البخاري برقم (٦٩٧٥).

اللَّه -تبارك وتعالى-، وأرجو -يا إخوة- أن نعي هذه الدروس الطيبة؛ ما الفائدة من حضور هذه الدروس يوميًّا ثم لا نعمل، ونعطي صورة سيئة عن دعوتنا ما الفائدة؟!

فأسأل اللَّه أن يجعلنا وإيَّاكم من أهل العلم والعمل والأخلاق النبيلة إن ربنا سميع الدعاء وصلى اللَّه على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

* * *

اعتنى بهذه المادة وعرضها على الشيخ -حفظه اللَّه-

أخوكم فواز الجزائري

غفر اللَّه له ولوالديه ولسائر المسلمين.

* * *

This document was created with Win2PDF available at http://www.win2pdf.com.
The unregistered version of Win2PDF is for evaluation or non-commercial use only.
This page will not be added after purchasing Win2PDF.